

الفصل الثاني

حرب الاستنزاف والسادس من أكتوبر ١٩٧٣

والثغرة برؤية الأدب الإسرائيلي

يعتبر الرصد التاريخي للحروب التي نشبت بين إسرائيل، ودول المواجهة العربية، وبصفة خاصة بين إسرائيل ومصر، ملمحاً رئيساً من ملامح الواقعية في روايات الأديب الإسرائيلي الواقعي، أهارون ميجد، لقد خاضت إسرائيل ضد البلاد العربية خمسة حروب متوالية، هي حرب ١٩٤٨، ١٩٥٦، ١٩٦٧، ١٩٧٣، ١٩٨٢. وبطبيعة الحال فإن ميجد لم يتناول حرب ١٩٤٨ في أعماله، ولكنه تناول بشكل خاص الحروب التالية لها، موضحاً وجهة نظره منها كأديب، صاحب رؤية.

وإذا كانت الحروب تندلع بين الأطراف المتصارعة، من أجل الكرامة، والكبرياء، والحرية، والمستقبل، والأرض، وذلك عند الضرورة، لأن الحروب يجب أن يكون لها ما يبررها أمام المجتمع، لما تنطوي عليه من خسائر سواء في حالتي النصر، أو الهزيمة، فإن الحرب بالنسبة لتاريخ الاستيطان الصهيوني، والمجتمع الإسرائيلي، تعد ضرورية، وغاية في حد ذاتها.

وتؤكد عالمة النفس الإسرائيلية، تاميا ليبينج، هذا بقولها: «إن الحرب في إسرائيل، هي جزء من الماضي، ومن الحاضر، ومن المستقبل، إنهم يأملون في السلام، ولكن لا بد من الاستعداد للحرب القادمة، إن الأسئلة المعتادة في حياتنا هي: ما هو الوقت الباقي حتى الحرب القادمة؟ وهل يمكن تأجيلها، قليلاً؟ ويسأل الرجل نفسه، قائلاً: هل يسعدني الحظ، أيضاً، في الحرب القادمة في أن أنجو كما نجوت في الحروب السابقة؟ والآباء يسألون: هل سيضطر أولادنا للخدمة كجنود

مقاتلين في الجيش الإسرائيلي؟ إن هذه هي الأسئلة الرئيسة ذات المغزى اللاذع، الأسئلة اليومية، وليست الأسئلة التي ترجع أصولها إلى عالم الكوارث الوهمية»^(١).

ومن هنا، تأتي أهمية الحرب بالنسبة للمجتمع الإسرائيلي، لكونها العامل الحاسم في توحيد صفوف المجتمع، بتقديمها حلاً اجتماعياً، لإبراز المجتمع في صورة واحدة، وتوحد، واندماج، ولو حتى في زمن الحرب، فحسب، لأن هذا التوحد والانصهار مفقود في نسيج المجتمع الإسرائيلي. وحول ذلك يقول أهارون ميجد: «لقد أنقذت الحرب الشخصية الرئيسة في رواية «حادثه الأبله» من الانتحار، فتخلي عن فرديته، وأصبح جزءاً من الناس، وبالتالي بدأ يشعر بأنه أصبح قادراً على أن يشاركهم في إنجازاتهم، بحماس الصديق، لقد كان في عزلة عن أسرته وعن المجتمع.

ولقد وضعت الحرب نهاية لشعوره بالوحدة، وهذا ما حدث «للأمة» حينما قامت الحرب، لقد وجدنا أنفسنا فجأة في غاية الكياسة والبهجة، وبعض الأمم الأخرى ليست في حاجة إلى هذا الالتصاق، لأن ثقافتهم معروفة تمام المعرفة لدى الأمم الأخرى، ولدى كثير من الأجيال، وذلك لأنهم يعيشون على أرضهم، أما نحن إسرائيل، فعبارة عن مجموعات بشرية متفاوتة، وربما يمر مئات من الأعوام قبل أن نصل إلى هذا التقارب، مثل كثير من الأمم الأخرى»^(٢).

وهكذا، فقد أضفت هذه الحروب على المجتمع الإسرائيلي، صفة المجتمع المحارب، مما أفقده الطبيعة الاجتماعية، مثل سائر المجتمعات، والشعوب، وأصبحت الحروب متنفس حتمي، وضروري، على مستوى الأفراد، والمجتمع.

(١) د. رشاد الشامي، عجز النصر الأدب الإسرائيلي وحرب ١٩٦٧، دار الفكر للدراسات، القاهرة ١٩٩٠، ص ١٠.

(٢) عبد المنعم سليم، نظرة على الأدب الإسرائيلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٣٣.

إن المجتمع الإسرائيلي بسبب وجوده في حالة نزاع، وحرب مستمرة منذ أن قامت إسرائيل، حتى الآن، أصبح في حالة من العودة على حقيقة أن الحرب، وإن كانت تنطوي على العديد من المخاطر، إلا إنها تنطوي في نفس الوقت على مصدر طاقة بالنسبة لأمر كثيرة، ووجهة النظر هذه تتفق مع وجهة النظر الفاشيستي الكلاسيكية، التي ترى أن الحرب والصراع هي مصادر هامة للطاقة، التي تشغل الإنسان في مجالات كثيرة.^(١)

وكلمة الحرب في إسرائيل لها مدلولات كثيرة، في الاستخدامات الوثائقية، والرسمية، والصحفية، حيث أنها تسيطر على فكر الجميع، فنجد الأدباء، والنقاد، يطلقونها على الإنتاجات الأدبية المواكبة لكل حرب، فنجدهم يقولون، أدب حرب ١٩٤٨، وأدب حرب ١٩٦٧، وأدب حرب ١٩٧٣، وهكذا.

وعلى هذا فإن «أدب الحرب في إسرائيل»، يعد من الأهمية مكان للتعرف على توترات، وصراعات المجتمع الإسرائيلي، وتعد الأعمال الروائية التي تناولت الحروب، التي تعاقبت على هذا المجتمع، مرآة صادقة لعرض، وتشريح آثار هذه الحروب على الإنسان، والأسرة، والمجتمع. علاوة على ذلك. فإن هذا الأدب له بريق خاص، لكونه انعكاساً مباشراً للصراع العربي - الإسرائيلي، بأبعاده المختلفة على الفرد، والمجتمع الإسرائيليين.

وتتجلى الواقعية بخيوطها الصادقة في روايات أهارون ميجد، من خلال تناوله للحروب العربية - الإسرائيلية، مستلهماً التاريخ، والبيئة، بوصف، وسرد واقعي، حسبما جاء، سابقاً، حول العلاقة بين الأدب، والتاريخ، والبيئة.

وسوف نتناول هنا ما يضع أيدينا على وثائق أدبية، نخدم قضايانا، وتساند رؤيتنا العربية.

(١) رشاد عبد الله الشامي، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، عالم المعرفة، الكويت،

العدد ١٠٢، يونيو ١٩٨٦، ص ٢٤٩.

حرب الاستنزاف، ودورها في كسر شوكة الجندي الإسرائيلي، رغم التدريبات المكثفة

وجاء على لسان أحد الجنود بعد مرحلة تدريب طويلة، وشاقة (رواية رحلة في
أتمسّطس) قوله:

بعد كل هذه التدريبات الكثيرة، لا أعرف كيف أتصرف في المحك الحقيقي،
حيث إنه في كل التدريبات، وأيضاً، أثناء الرماية بالذخيرة الحية، أنا أهاجم، ولا يقع
على هجوم، وأجهز قذائف المدفعية، وأشحن قلب المدفع بالقنابل، وألقي
بالخرطوش الفارغ، بعيداً، وأطلق بالمدفع الواقع فوق البرج، وأرى النيران وهي
تصيب الهدف، أو تخطئه، أسمع بأذني الأوامر، وأجواب.

أنا أفعل هذا كله بشكل جيد، وبما فيه الكفاية، ولكن كيف أنفذ تلك الأعمال
تحت قصف مدافع العدو، أو تحت قصف الطائرات؟
لست واثقاً...

كلا، إن هذا يقلقني بما فيه الكفاية، أنا في حاجة ذات مرة للصمود في هذه
لتجربة.

«إنهم يحكون لي عن حرب الاستنزاف، وعن عمليات القصف المربعة عبر
لقناة، وعن النيران المسطحة، إنني أفكر كيف أكون، لست أدري، إنني أعتقد أن
كل هذه الثقة، التي نبديها عندما نقف في برج الدبابة، ونؤدي كل هذه الأعمال
برباطة جأش، وبشكل معتاد للغاية، وبشكل آلي، تقريباً، فإن هذا مجرد عرض

تمثيلي، وربما يشلني خوف»^(١).

هذه الفقرة يتحدد فيها عنصر الزمان والمكان بوضوح، بالإضافة إلى أنها محملة بالفكرة التي يريد القاص أن ينقلها للقارئ.

فالزمان هو «فترة حرب الاستنزاف»، والمكان هو سيناء، أو داخل إسرائيل ذاتها، في إحدى قواعد التدريب العسكرية. أما الفكرة التي أراد القاص أن ينقلها فهي:

١ - خوف الجندي الإسرائيلي، أثناء فترة التدريب العسكرية على قيادة الدبابات، وإصابة الأهداف، واستخدام الأسلحة من المواجهة الحقيقية، بعد انتهاء فترة «العرض التمثيلي».

٢ - مدى الرعب الذي أصاب جنود الجيش الإسرائيلي، الذين مازالوا في مرحلة التدريب، مما سمعوه عن قوة النصف المصري للأهداف الإسرائيلية، غرب القناة.

٣ - أمل خفي لدى الجندي الذي لم يخف تجربة القتال الحقيقي، في ألا يتعرض لهذه التجربة، وألا تكون هناك حروب يضطر لخوضها، وهو شعور يكشف فيه عن الإنسان في داخله، وعن خوفه من التعرض للموت، حتى ولو كان يعرف، سلفاً، أن هذا قدره كمقاتل لهذا الدور، وهذا المصير.



(١) أهارون ميجد، رواية رحلة في أغسطس. عم عوبيد، تل أبيب، ١٩٨٠، ص ١٩٢.

حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣

لقد خلقت الحروب التي خاضها العرب ضد اليهود، ابتداء من حرب ١٩٤٨، وحتى حرب ١٩٦٧، نوعاً من الارتياح، والثقة لدى الإسرائيليين، بأن الأوضاع يمكن أن تظل على ما هي عليه. ولربما كانت لهم طموحات في انتصارات أخرى على الجانب العربي، تنتج لهم مزيداً من الأرض، والمطامع التوسعية، ولكن الوضع كان مختلفاً لدى الطرف الآخر، وهم العرب عامة، والمصريون خاصة. لأن ذلك كله كان لا بد أن يحسم بالحرب لاستعادة الأرض، والكرامة، في يوم من الأيام.

وقد كان اليوم هو السادس من أكتوبر ١٩٧٣، لقد أزاح هذا اليوم غبار السنوات المرة، ما بين ١٩٦٧، وحتى هذا اليوم العظيم.

وقد أجمع المحللون السياسيون والعسكريون على أن حرب السادس من أكتوبر، قد أحدثت صدمة قوية للمجتمع الإسرائيلي، ووصفت بالزلزال الذي هز الكيان الصهيوني، في الصميم.

وتحت عنوان «الوعي الزائف والأدب وحرب أكتوبر»، كتب الدكتور إبراهيم ابجراوي، أستاذ اللغة العبرية بكلية الآداب جامعة عين شمس، يقول: أما فيما ينصل بحجم حرب أكتوبر، فإنه من الواضح أنها استطاعت في المرحلة الأولى الهجومية فيها، أن تثير في المجتمع الإسرائيلي إحساساً عميقاً بالخطر، وإبان مسارها في تلك المرحلة، بإمكانية الطرف العربي على اجتياح الدروع الإسرائيلية، وكسر جدران القوقعة.

وهو الأمر الذي أدى إلى اهتزاز حقيقي في قاعدة الوعي الصهيوني، التي تترع

عليها المقولات الزائفة.

« فقد ارتعشت مقولة المحارب الصهيوني البطل، الذي تحول عن موقف الانكسار، إلى موقف انبطش بأعدائه، واكتسب جدارة في ألا يهزم. واهتزت مقولة الأرض التاريخية الكبرى، والكاملة، وبات واضحاً أن الواقع الجغرافي في حالة تمرد فعالة، يرفض الاستجابة الدائمة للمقولة، وأحكامها، وتزعزعت مقولة الأمان المطلق، الذي يوفره الوجود اليهودي الكلي، لمن يلتحق به من اليهود»^(١).

وتحت عنوان: «الحرب وأثرها على تكوين شخصية الشاب الإسرائيلي»، كتب «آمنون روبنشتين»، عن آثار حرب السادس من أكتوبر، على شخصية «الصباريم»، يقول:

« في أعقاب حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، أضيف لقوة الكابوس، أيضاً، بعد جديد، وهو تعاظم القوة العربية، بما يفوق كل مكونات هذا البعد. وقد استلهم الصراع أبعاداً ناضجة، وحقيقية. إن الصباريم من مواليد البلاد المرتبط بها - على الرغم من التذمر، وعلى الرغم من الفشل - برؤابط الشعور وجد نفسه ممزقاً بين انتهائه لنفسه، ولأرضه، وبين شعور الحصار، والحروب المستمرة»^(٢).



(١) إبراهيم البحراوي، الأدب الصهيوني بين حربي ١٩٦٧ تشرين ١٩٧٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٧٧، ص ٣٢.

(٢) آمنون روبنشتين، هبوت عم حفشى، دار نشر شوكين القدس، تل أبيب - ١٩٧٧، ص ١٢٩.

التحول في أحداث الحرب (الثغرة)

ويرصد الروائي الإسرائيلي الواقعي أهaron ميجد، برؤيته الثاقبة، بوصف واقعي لأيام متميزة من حرب السادس من أكتوبر، ويحددها بيومي ١٤، ١٦ أكتوبر ١٩٧٣.

ويروي على لسان الضابط الشاب (يو آب)، كيف كانت الساعات الحرجة من سير المعركة (رواية رحلة في أغسطس ١٩٨٠):

.... بعد ذلك بيومين فقط، يوم الأحد الموافق ١٤ أكتوبر ١٩٧٣، الخمسون ساعة ما بين الواحدة والنصف، يوم الجمعة، وبين تلك اللحظة.

كل تلك الساعات الخمسون الحرجة، كان الجندي المصاب جثة ممزقة، لا توجد نسمة هواء تنتشر على رمال الصحراء.

وبعد ذلك، مع هدوء إطلاق النيران، حمل فوق نقالة إلى حامللة المدرعات الخاصة بالتجميع، ونقل إلى المؤخرة، بغرفة عسكرية محصنة تحت الأرض، لا توجد بها نسمة هواء^(١).

وعلى الجانب الآخر، يقول:

طوال تلك الساعات الخمسون أنتم (في إسرائيل)، تقضون وقتكم، تأكلون، وتعملون، وتصلون، من أجل معجزة.

تستمعون لوسائل بث الأخبار، وهي تقول:

- قوات الجيش الإسرائيلي تصد الهجوم على الجبهتين.

(١) ميجد، رواية ...، مصدر سبق ذكره، ص ١٩٧.

- مع تكبيد العدو خسائر فادحة، ٦٠ دبابة.
- سقطت ٥٦ طائرة، عاودوا محاولاتهم للاختراق شرقاً.
- المصريون بممر متلاً.
- استمرار معارك الدبابات بسيئاء.
- تبادل المعارك بالمدفعية.
- ويستمر، حيث تقول وسائل الإعلام:
- أهداف دمرت ...
- انتشرت شائعات، تقول ٦٠٠ قتيل ...
- ٦٠٠ قتيل لمن؟ ٦٠٠ خاصة بمن؟
- ظلام رهيب.
- هدنة..... خط تموين جوي.
- انعكس سير المعركة (حدث تحول في سير المعركة).
- انعكس على من؟^(١).
- (ويخاطب الضابط الشاب):
- ولكن داخل قلبك تعرف: لا توجد معجزة (هذا الشاب المصاب) كتب اسمه، ووقع حكمه (استشهد).
- وبعد ذلك بأسبوعين فقط، بعد ذلك كله، عاد الجنديان اللذان تم إنقاذهما، قائد الدبابة، والمدفعجي - حيث إن السائق لقي مصرعه على الفور من الإصابة الأولى

(١) المصدر نفسه، ص ١٩٨.

للصاروخ - مثل الهاربين اللذين أنقذا من بحر النيران.

وكانت روايتهم، كيف كان الحدث: -

اشتعلت الدبابة بالنيران، وأفلح الثلاثة في القفز منها، وجروا، تحت قذائف المدفعية من الضفة التي في المواجهة بالمدفعية، والرشاشات الأوتوماتيكية، إلى داخل الحفرة القريبة، حوالي ٣٠ متراً^(١).

يرصد ميجد في هذه الفقرة الأحداث العسكرية الصغيرة، والكبيرة، أو بمعنى آخر الجانبية، والأساسية في قلب المعركة، من خلال ما وقع مع الجنود أثناء سير لقتال، وكذلك الجو العام السائد حول متابعة أحداث المعركة، وهنا لم يغفل ميجد انتشار الشائعات، وحجمها، وتأثيرها النفسي على الجميع، مع سماع أرقام كبيرة من القتلى، والخسائر.

ولكن يتأكد هنا الرصد الواقعي للكاتب، حيث يحدد الزمان، والتاريخ، بيوم ١٤ أكتوبر ١٩٧٣. فهذا اليوم في تلك المعارك، كان تاريخاً فاصلاً لوقوع تحول في سير المعارك على الجبهة المصرية، في محاولة من قوات الجيش الإسرائيلي لإحراز نصر ما، وهو ما اصطلح على تسميته في المصطلح العسكري أثناء الحرب، «الثغرة».

وحول ذلك، يقول العميد الركن، حسن مصطفى، في كتابه: «معارك الجبهة المصرية من حرب رمضان ١٩٧٣»، والواقع الذي لا سبيل إلى نكرانه، هو أن معارك يوم ١٤ أكتوبر، كانت بداية تحول في حرب رمضان. فإلى ذلك اليوم، كانت البداية بيد الجانب المصري، حتى في فترة التوقف بعد العبور، التي كانوا فيها مدافعين^(٢).

(١) المصدر نفسه.

(٢) العميد الركن حسن مصطفى، معارك الجبهة المصرية في حرب رمضان ١٩٧٣، ط١، مديرية المطابع العسكرية، بغداد، ١٩٨٢، ص ٢٦٢.

لقد رسم «ميجد»، صورة حقيقية لا تتجاوز الحقيقة لساحة القتال، أثناء حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣. تؤكد على ما تخوف منه الجندي في رواية (رحلة في أغسطس)، وفي الفقرات التي ناقشناها، سابقاً، عندما أعرب عن تخوفه من القتال الحقيقي.

لقد أبرز ميجد هول، وفضاعة ساحة القتال، وذلك من خلال ما رواه «يوآب» ضابط المدرعات الشاب، حيث كان قائداً لإحدى الدبابات المشاركة في حرب أكتوبر، وعاد سالماً من المعركة، وأخذ يروي الأحداث، والأهوال التي مر بها، وخاصة أن مجموعته قد دمرت بها فيها دبابتة، ولقى معظم أفراد المجموعة حتفهم.

ويمثل (يوآب) الجيل الإسرائيلي الشاب، الذي خاض حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وشاهد أهوال الحرب، وتخبّطات وعجز الجندي الإسرائيلي، حتى أنه عندما عاد من الجبهة، وأخذ يروي الأحداث لأسرته اعتبروه بأنه قد ولد من جديد، لأن حجم الخسائر والقتلى في سرّيته، كان هائلاً، وكانت الحرب شرسة من جانب المصريين، والعرب، على عكس ما صور لهم من قبل.

وإذا كان «ميجد» قد أكد على صورة الخوف والتردد في خصوص المحك الحقيقي للقتال، من خلال شخصية الجندي في رواية (رحلة في أغسطس)، فإنه هنا يؤكد على صورة مشابهة من التخبّط من نوع آخر، وهو تخبّط الجنود الإسرائيليين في ميدان القتال، أثناء معارك السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

«في السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣، في الساعة الخامسة بعد الظهر، كانت كتيبة المدرعات التي يخدم بها «يوآب» في سيناء، قد تلقت أمراً بالتقدم عبر منطقة «المزرعة الصينية»، التي انبعثت منها نداءات يائسة من المظليين^(١)، الذين حوصروا

(١) المزرعة الصينية: أطلق العدو الإسرائيلي على المنطقة، التي يقع فيها التقاطعان اللذان يتفرع منهما الطريقان الفرعيان المؤديان إلى مكان العبور (الطاسة - البحيرة المرة الكبرى)، اسم «المزرعة»

هناك تحت نيران الجيش الثاني المصري، دون غطاء، وتكبّدوا خسائر فادحة. وعندما تحركت الدبابات صوب الغرب لتنفيذ المهمة، وقد تولى هو قيادة واحدة منهم، توقف تقدمهم، تماماً، لأن الطريق الضيق «ممر العنكبوت» كان مختنقاً بقافلة طويلة من المركبات، من جميع الأنواع، من بينها الحاملات العملاقة، التي حملت العوامات لعبور القناة^(١).

وصلوا إلى ميدان القتال بعد منتصف الليل، وإذا بمشهد رهيب واضح على ضوء القمر الكامل أمام عيونهم، حيث كانت جثث القتلى ملقاة على سطح سهل رملي، مع صرخات الجرحى الذين زحفوا عليه، أو حملوا على أكتاف زملائهم، الذين ساروا بهم في كل اتجاه، أثناء الفترات القصيرة من توقف إطلاق نيران المدفعية، ومع دخول الدبابات منطقة إطلاق النيران، أصيبت على الفور ثلاث دبابات من سرية (يوآب)، إحداها القريبة جداً من (يوآب)، وبينما كانت النيران تلتهمها ركض أحد الجنود، ووجهه مغطى بالدماء، وأثناء هروبه سقط على الرمال^(٢).

وهكذا كان «ميجد» صادقاً في رسم المعركة، التي شارك فيها (يوآب)، وأورد الصورة بشكل واقعي من حيث الزمان، والمكان، والواقع الحي لمعارك الدبابات،

=الصينية»، وتقع هذه المزرعة على بعد بضعة كيلومترات شرق مكان العبور. ويرجع سبب هذه التسمية، إلى أنه كانت في هذه المنطقة، محطة تجارب زراعية مصرية، يعمل فيها عدد من الخبراء الزراعيين اليابانيين، فكان من الطبيعي أن تكتب بعض العبارات والكلمات اليابانية على الجدران، وعندما احتل الإسرائيليون سيناء، عام ١٩٦٧، ظنوا أن هذه الكلمات صينية، فأطلقوا عليها «المزرعة الصينية»، وقد دارت في هذه المنطقة، أشرس المعارك الحربية في حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣.

(١) أهارون ميجد، رواية فويجلان، عم عوبيد، تل أبيب، ١٩٨٢، ص ٢٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

وعبر عن تفوق الجانب المصري في مقابل هزيمة، وتخبط الجانب الإسرائيلي.

وفي الفقرة التالية، يصف «ميجد» كيف حدث أن الدبابات الإسرائيلية قامت بإطلاق النيران على مجموعة «يوآب»، (مجموعة دبابات إسرائيلية تم استدعاؤها لإنقاذ مجموعة إسرائيلية وقعت في فك الجيش الثاني المصري)، مما يعكس صورة التخبط، وعدم التنسيق بين القوات الإسرائيلية، أثناء هذه المعارك الضارية:

«أوقف يوآب» دبابته، وتحت وابل نيران من صواريخ «ساجر»، كانت تتطاير فوقه، وتضيء المنطقة، وتنفجر. جرى لإنقاذ زميله، حمله على كتفه، وكان مصاباً في وجهه، وإحدى ذراعيه مقطوعة، فأدخله في دبابته. وفي اللحظة التي دخل فيها إلى كبيتها وأمسك بذراع القيادة، أصاب صاروخ برج الدبابة. فجعله يطير مع المدفعجي الذي فوقه.

طلب عامل اللاسلكي مساعده، لكن لم يصله أي رد، ولكن بعد ذلك نمت لهم أن دبابة القيادة، قد أصيبت هي الأخرى، وقتل كل طاقمها. واصل «يوآب» التحرك محاولاً الانسحاب، ولكن ازدياد النيران، وعطب المحرك، اضطره لمغادرة الدبابة.

وقام هو وصديقه، الذي بقى معه، وحملوا الجريح على النقالة، وجروا به بحثاً عن ملجأ، وانهالت عليهم النيران من كل جانب، لأن وحدة من سلاح المدفعية من الجيش الإسرائيلي، أطلقت عليهم النيران، أيضاً، في تلك المنطقة، إلا أنها لا تعلم عن تواجدهم في هذا الموقع. انطحوا أرضاً، قاموا وسقطوا، ثم قاموا، وصاحوا بكل قواهم، بأنهم يهود إسرائيليون، جنود من جيش إسرائيل، وإنهم إخوانهم، ولكن ضاع صوتهم في ضجيج إطلاق النيران، والمتفجرات^(١).

(١) المصدر نفسه، ص ٢٣٢.

وهنا في هذه الفقرة ، يقوم «ميجد» بتدبيح العمل الأدبي، بنوع أشبه بالتقرير الصحفي الريبورتاجي، الراصد للحظة حية من لحظات احتدام المعارك بين الدبابات الإسرائيلية، والمصرية.

إن «ميجد» يرصد كلاً من الزمان، والمكان الواقعيين، باعتبارهما من مقومات الواقعية في العمل الروائي، فالزمان، السادس عشر من أكتوبر ١٩٧٣، ويحدده بدقة «في الساعة الخامسة بعد الظهر»، والمكان، هو ميدان المعركة «منطقة ريفديم بسياء». ويحدده بدقة أكثر فيما يتصل بوقائع هذه الحرب، عندما يشير إلى أكبر معارك الدبابات على أرض سيناء، وهي معركة «المزرعة الصينية» التي دارت رحاها في الفترة من ١٤-١٦ أكتوبر، وهي الفترة التي حاولت خلالها القوات الإسرائيلية فتح «الثغرة»، والتسلل إلى الضفة الغربية للقناة.

ويحدد «ميجد» أن هذه المعركة دارت مع قوات الجيش الثاني المصري، ويصف أهوالها بأوصاف، مثل «كانت جثث القتلى ملقاة على سطح سهلي رملي»، و«صرخات الجرحى»، «ومع دخول الدبابات» منطقة إطلاق النيران، أصيبت على الفور ثلاث دبابات من سرية «يوآب»، وبينما كانت النيران تلتهم الدبابة، ركض أحد الجنود، ووجهه مغطى بالدم، وأثناء هروبه سقط على الرمال، «انهالت عليهم النيران من كل جانب».

ويشير «ميجد» إلى المهمة التي تحركت من أجلها كتيبة الدبابات، التي يخدم بها «يوآب»، فيقول: «قد تلقيت أمراً بالتقدم عبر منطقة «المزرعة الصينية»، التي انبعثت منها نداءات يائسة من المظليين، الذين حوصروا هناك تحت نيران الجيش الثاني المصري، دون غطاء، وتكبدوا خسائر فادحة.

ويقول العميد الركن حسن مصطفى، في كتابه «معارك الجبهة المصرية»: وقد

دخل اسم «المزرعة الصينية» تاريخ حرب العاشر من رمضان، من أوسع أبوابه، كرمز يدل على ضراوة المقاومة التي أبدتها القوات المصرية ضد قوات العدو، التي جاءت إلى هذه المنطقة، وقد شهدت أوساط العدو نفسها بضراوة المعركة، التي دارت في «المزرعة الصينية»، فقد جاء في كتاب «التقصير» : إنها كانت أصعب المعارك التي خاضتها أية قوة في الجيش الإسرائيلي^(١).

ومما يؤكد واقعية وصدق ما سجله «ميجد» عن المعركة، التي دارت رحاها في منطقة «المزرعة الصينية»، أمران هامين وواضحان في الفقرة السابقة، صعوبة حركة الناقلات، التي كانت تحمل العوامات، التي ستستخدم في العبور، والأمر الثاني : هو ضراوة وشراسة القتال من قبل القوات المصرية في هذه المنطقة توقف تقدمهم، تماماً، لأن الطريق الضيق «ممر العنكبوت»، كان مختنقاً بقافلة طويلة من المركبات، من جميع الأنواع، من بينها الحاملات العملاقة، التي حملت العوامات لعبور القناة، ومع دخول الدبابات منطقة إطلاق النيران، أصيبت على الفور ثلاث دبابات من سرية «يوآب».

ويعقب على ذلك العميد الركن حسن مصطفى، بقوله : عند انبثاق ضوء النهار، بدأت المدفعية المصرية تركز نيرانها على تقاطعات الطرق - وهو الأمر الذي جعل عملية جلب العوامات المحمولة على متن أبدان المقطورات الضخمة، عملية مرهقة جداً لأعصاب الجنود، الذين كانوا يسوقون هذه المقطورات الضخمة - وقد وصف الموقف عريف إسرائيلي، كان دليلاً لمقطورة تحمل إحدى هذه العوامات الثقيلة، فقال : «كانت هناك معركة دبابات على طرفي الطريق، وكنا نسير في الوسط. وكانت هذه المعركة من أجل احتلال تقاطع طرق.. وكان التقاطع على مرأى من المصريين،

(١) مصطفى، مصدر سبق ذكره، ص ٥٦٢.

فكانوا يرمون على كل عجلة تمر من هذا التقاطع.

وكنا قافلة ثقيلة من السهل جوا إصابتها.....وقد أصبنا بإصابات قليلة.....أحدثت ثقبوا في العوامة، وعند الفجر وصلنا إلى منطقة العبور»^(١).

وهكذا، من خلال التحليل، والنقد للنص الأدبي العبري لأديب إسرائيلي، ينتهج الواقعية في كتاباته، أمكن تقديم صورة، أو جانب لأهمية معارك السادس من أكتوبر ١٩٧٣، وهي وجهة نظر الآخر، وتعد وثيقة دامغة لتفوق القوات المصرية في هذه المعركة «الثغرة»، مثل سائر المعارك التي سبقتها.



(١) المصدر نفسه، ص ٣٩٥.